كلمة شكر

يعد هذا الكتاب نتاج رحلة إلى العالم الإسلامي مع فريق من المساعدين الذين نذروا أنفسهم لتفكيك وحلحلة التعقيدات العديدة في الإسلام. ونظرا لوعيي بالحاجة الماسة إلى تعرف المجتمعات الإسلامية، بدأت مشروعا يتيح لي اختبارها ومعاينتها مباشرة. على الطريق، أفدت فائدة عظيمة من جملة الحكم الحصيفة والرؤى الثاقبة والدعم المقدم من العديد من الأشخاص، ومنهم كرام استضافوني في الميدان، عددهم ينأى عن الحصر، لكن مساعدتهم لا تقدر بثمن.

ما كان للمشروع أن يتحقق لولا الدعم الاستثنائي الذي قدمه الرئيس المؤقت كورنيليوس كيروين والعميد لويس غودمان من الجامعة الأمريكية، وستيفن كوهين وبيتر سينغر من معهد بروكينغز، ولويس لوغو وتيم شاه من منتدى بيو للأديان والحياة العامة. أعبر عن شكر خاص للعميد غودمان لصداقته ومساعدته، خلال وبعد انتهاء المشروع. تلقيت تشجيعا كبيرا حين عينت مشرفا رئيسا على مشروع «الإسلام في عصر العولمة» إلى جانب مسلم آخر عمل مساعدا بحثيا لي في وقت تنامى فيه الخوف الرهابي من الإسلام («إسلاموفوبيا»). وبدا ذلك إشارة دلالية على رغبة أمريكية في فهم العالم الإسلامي وفقا لشروطه الخاصة.

أعبر عن عظيم الشكر أيضا لصداقة ومساندة جين وستيف كيس من مؤسسة كيس، والسفير دوغ هولاداي وروبرت وودي من مبادرة بوكستون، ولاشلان ومارثا ريد، وجون غودمان، وناصر كازيمني، وميليسينت وروبرت مونكس، وسيمي ومالك حسن من مؤسسة عائلة حسن لتشجيع الفهم المتبادل بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي، وهارويشا هاندا من مؤسسة شينتو الدولية.

عمل معي في هذا المشروع فريق رائع منذ البداية حتى النهاية، يدفعه إيمان راسخ بأهدافه والتزام قوي بها. ولا يسعني إلا التعبير عن أعمق التقدير لما فعله أفراده لمساعدتي

علـى تحمل الرحلـة المرهقة جسديا والمتحديـة وجدانيا، فضلا علـى المرحلة المكثفة من تأليف هذا الكتاب. فقد أترعوا كياني بالتفاؤل والأمل بالمستقبل. شارك كل منهم وساهم بطـرق مختلفـة، وأدى دورا كان جزءا لا يتجزأ من الكل. ولم يعيقه تغيير المواعيد وتبديل البرنامـج ولا حتـى المرض، بل تابع بإصـرار جمع البيانات أو إجـراء المقابلات، فشكلت رغبتـه في المعرفـة وحماسته للعمل مصـدرا مستمرا للإلهـام. كان الفريق حاضرا معي عنـد مقابلـة الرؤساء والأمراء، والجـولات في الجامعات والمدارس، والتحدث والخطب في المحافـل الدولية، وزيارة الكنس والكنائـس والمساجد، وحتى معابد الهندوس والسيخ. تعلمـت الكثير من أفراده بحيث انقلبت الآية أحيانا: الطـلاب المتعلمون أصبحوا أساتذة ومعلمين.

هاديـا مبـارك، مساعدتـي البحثية المعينـة خلال وبعـد الرحلة الميدانيـة، أمريكية مسلمة من أصل عربي، اهتمـت اهتماما كبيرا بالموضوع ومضامينه ومقتضياته المحتملة للجالية المسلمة في الولايات المتحدة. أما هيلي ولدت وفرانكي مارتن، وهما اثنان من ألمع طلابـي في الجامعة الأمريكيـة، فقد تغلبا على عدة عقبات قبـل مرافقتي في الرحلة. في حـين رافقني في الهند تريديفيش سينغ، وهو طالب من طلابي أيضا، ووضع لنا برنامجا ممتازا هنـاك. وانضم جوناثان هايدن، سكرتيري، خـلال المراحل الأخيرة من الرحلة. سـرني انضمام زينات، زوجتي، ونفيس، ابنتي إلينـا في باكستان، وأمينة، ابنتي الكبرى، التي حصلت للتو على شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا من جامعة كيمبردج، في المراحل الأخـيرة أيضا، واستفدت من وجود أمينة ورؤاها الأنثروبولوجية المتعمقة. إضافة إلى ما قدمه جيروشا غضنفري وعائشة معروف من مساعدة وعون في واشنطن، وطلحة كوسي في استنبـول، وكريستـل كول في القاهـرة. وساعدتنا ميلا نورمان ومارتـا زولادز في فرز البيانات والمخططات البيانية والنتائج عند عودتنا.

علـى أولئـك الذيـن اعتادوا الشكوى مـن قلة انضبـاط الشباب وعـدم التزامهم أن ينظـروا إلى منجـزات الفريق في صيـف عام 2006، عند عودتنا مـن العالم الإسلامي. فبـين منتصـف شهـر نيسان/أبريـل وآب/أغسطـس مـن تلـك السنـة، قمنـا بترميز الاستبيانات، وتدويـن المقابلات، وعقدنا حلقة لمناقشة ما توصلنا إليه من نتائج، واكتمل

كتابـي المستمد مـن الرحلة – تم ذلك كله تحت ظروف ضاغطـة: نقلت والدة هاديا إلى المستشفـى، وكسرت ذراع جوناثـان، واضطر فرانكي إلى العمل حتـى ساعة متأخرة من الليـل باحثا في بعض الحقائق المتعلقة بالكتاب، في حين بذلت هيلي جهدا مضنيا أسبوعا وراء أسبـوع (حتـى في أيام العطلة)، بعـد أن تركت فصلا دراسيا بكاملـه للمشاركة في الرحلـة الميدانية. كانت العضو الوحيد في الفريق الذي رافقني منذ البداية حتى النهاية، ولـولا التزامها الـذي لا يعرف الكلل، وطاقتهـا الحيوية، ورؤاها المتعمقـة، لما تمكنت من استكمـال المسودة الأولى للكتاب في خلال ثلاثة أشهـر. إضافة إلى ذلك، التقطت هيلي، أو استخدمت كاميرتها لالتقاط جميع صور الكتاب. وعبرت كلماتها الوداعية لي ولعائلتي عنـد نهاية ذلك الصيف المضني تعبيرا صادقا عـن حماسها: «لسوف أذكر هذه الشهور كأسعد شهور مرت في حياتي، حيث تعلمت.. وعشت حقا كما علمتموني جميعا».

دعيت طوال الرحلة إلى إلقاء المحاضرات في مختلف المؤسسات والمناسبات: المنتدى العالمـي الأمريكي – الإسلامي في الدوحـة، مركز الأبحاث الإسلامية في استنبول، خطبة الجمعـة في مسجـد في دمشق، المعهـد الملكي للدراسـات الدينية وجامعـة الأميرة سمية للتكنولوجيا في عمان، نادي السند في كراتشي، المعهد الوطني للأبحاث التاريخية والثقافية في إسـلام أباد، جامعة همـدارد والجامعة الإسلامية المليـة في نيودلهـي، مناسبة «سوكا غـاكاي» في كوالالمبور، المعهد الدولي للفكـر والحضارة الإسلاميـة والجامعة الإسلامية الدولية الماليزية في كوالالمبور، جامعة تون عبد الرزاق في بيتالينغ جايا (قرب كوالالمبور)، الجامعة الإسلامية في جاكرتا. وأود أن أشكر هذه المؤسسات على كرم ضيافتها وعلى ما لقيته، أنا وفريقي، من ترحيب.

أعـبر عـن شكري أيضا للأشخاص التالية أسماؤهم على مـا قدموه من ملاحظات وتعليقـات علـى مختلـف مسودات المخطـوط: روجر بواس، راجموهان غانـدي، انتوني غيدنـز، هيليل ليفاين، جوديا بيرل، لورنس روزن، السـير جوناثان ساكس، تامارا سون، ايلي فايزل.

وأشكر جزيل الشكر أيضا جميع العاملين في معهد بروكينغز الذين ساعدوا في وصول هـذا الكتـاب إلى المطبعة، خصوصا ستيـف غراند، فضلا على بـوب فاهرتي في مطبعة

المعهد على حماسه للمشروع، وأولئك الذين عملوا بدأب ومقدرة على إنتاج الكتاب: لاري كونفرس، وفيكي ماكنتاير، وجانيت ووكر، وسوزان وولن.

أخـيرا، أدين بفضل يتجاوز قـدرة الكلمات على التعبير إلى عائلتي المحبة والمدهشة، حيـث ساهم كل فرد فيهـا مساهمة كبيرة في فهم الإسلام حولنـا: زينات، وارسال الله، وبابر، وفاطمة، وعمر، وميلودي، ونفيس. وأود أن أخص بالشكر زينات، التي استحضرت الحكمة والتعقل والفهم إلى القضايا المعقدة التي أثارها المشروع، وكانت مشاركة مخلصة دون تحفظ في استكماله. وبلغ مدى وعمق مساهمتها حدا استثنائيا: فقد ساهمت في فهم الأفكار المركزية، وشاركت في المقابلات، وساعدت في استكمال المخطوطات المختلفة، على الرغـم من المرض الذي أصابها والإرهاق من العمـل في المكتب والمنزل. أشكر إخلاصها للمشـروع ولا يمكنني إلا الإعجاب بثباتها ودأبها وصحبتها وصداقتها بكل ما في قلبي من حب وروحي من امتنان. وما كان لها الكتاب أن يرى النور لولاها، ولذلك أرغب في إهدائه إلى زينات مع كل الحب.

أكبر أحمد

نيسان/أبريل 2007.

openkandl.com